الا ان الأمراء والبويار لم يكونوا يصلون ويدعون بمقدار ماكان يفعل الشعب لأنهم كانوا قد سئموا إيڤان بعض الشيء لكثرة تقاه الذي كان مبالغاً فيه في نظرهم حتى في عصر التقى ذاك . كان حقا ديمقراطياً إلى ابعد الحدود ، وبدا قادراً على حكم البلاد بدون حاجة الى نصائحهم حتى انه اتخذ له مستشارين ذوي منشأ وضيع وجعلهم مساوين لهم إن لم يكن يفضلهم عليهم . وكان زعيم هذه المعارضة السرية للقيصر رجلاً اسمه فلاديمير اندرييڤتش ابن الأمير اندري الذي كانت هيلانة قد أمرت بقتله . وقد تشكلت طباع هذا الأمير في عصر آل شويسكي المضطرب ، وكان أكبر سناً من إيڤان واقل ورعاً ولكنه كان من افضل المقاتلين . فقد شارك في حملة قازان واعتبر البطل الحقيقي في احتلال المدينة . وبما ان يوري أخا إيڤان كان قد بقي في موسكو اثناء هذه الحملة فقد اصبح الأمير فلاديمير إلى جانب القيصر في الجيش الشخصية التي تنتمي الى أرفع الأنساب . وفي اثناء العودة المظفرة تلقى من العطاءات اكثر من اي امير آخر ولكنه كان يتألم في سره من وجود وريث لإيڤان . فلو أن هذا لم يصبح له ولد من الذكور لأمكن اعتبار فلاديمير المرشح الرئيسي للعرش بعد إيڤان لأنه كان يتمتع بمكانة أعلى من مكانة يوري اخي القيصر .

هذا الادعاء وهذا الأمل في المستقبل قد يبدو ان سخيفين إذا عرفنا ان إيڤان حكم واحدا وثلاثين عاما ، ولكن الله كان يخبىء قدره عن العباد، وقد بدا اول الفياصرةفي آذار من عام ١٥٥٣ مسجلا على قائمة الأموات .

كان إيڤان يتمتع بمزاج مرضي ولكنه يتمتع بحيوية ليس لها مثيل، فعلى الرغم من أنه كان في الثانية والعشرين من عمره إلا انه لم يكن قد بلغ اقصى نموه الجسدي بعد . وكان يقابل ورعه الديني وتقاه حساسية مفرطة . وينبغي أن نعترف بأنه يمتلك توازناً كاملاً في سنواته الأولى لأن تقواه لم تكن تنتزع منه نشاطه ولم يكن ميالا بذوقه الى العزلة والتنسك بحيث يكون غير صالح لاعتلاء العرش . كان يعيش في خوف مما فوق الطبيعة ومن سلطان الأموات على الأحياء ولكن جسده من